حوليات آداب عين شمس المجلد 51 (عدد أكتوبر – ديسمبر 2023)
http://www.aafu.journals.ekb.eg
(دورية علمية محكمة)
جامعة عين شمس
كلية الآداب

ملامح منهج البغدادي في عرض الشاهد النحوي الشعري في خزانة الأدب

د/ عبد الله حسن أحمد الذنيبات*

كلية الآداب والعلوم –جامعة العلوم الإسلامية العالمية
Abdullahhasan24@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2022/10/01
تاريخ قبول البحث: 2022/11/07
تاريخ النشر: 2023/12/30

المستخلص:

يعدّ عبدالقادر بن عمر البغدادي من أبرز أعلام اللغة في القرن الحادي عشر للهجرة، إذ عُرف في مجال التأليف والفهرسة، وظل كتابه "خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب" محل عناية الباحثين منذ تأليفه إلى وقتنا الحاضر.

وتهدف الدراسة إلى استجلاء صورةٍ واضحةٍ لمنهج البغدادي في عرض الشاهد النحوي في كتاب خزانة الأدب، وفق المنهج الوصفي التحليلي، من حيث منهجه في تتبع الشواهد وتخريج أبيات شرح الرضي، وفحص قائليها، وعزوه كل بَيتٍ إلى قائله، ما أمكنه ذلِك، ونسبته إلى قبيلته أو فصيلته، وتمييزه الشاهد الإسلامي عَن الجاهلي، والصحابي عَن التَّابِعِيّ، وتوضيح غامضه، وإعرابه، وتوجيهه نحويا.

ووجد الباحث أن البغدادي يُظهر أثناء شرحه سعة اطلاعه على علم العروض، من خلال ضبط الشعر ضبطا سليما، وتنبيهه على بعض القضايا أثناء شرحه، والتزامه بتوثيق الشاهد في متن تأليفه، وهذا منهج علمي حديث متبع في كثير من الدراسات، وقد يورد البغدادي أكثر من رواية وبالتالي يورد أكثر من مقطوعة شعرية، ويحرص على ترجمة قائلي الأبيات الشعرية النحوية، وقد يعتذر عندما لا يستطيع الترجمة لصاحب الشاهد وقد يترجم لأحد معاصري صاحب الشاهد إن لم يجد ترجمة للشاعر نفسه.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب – جامعة عين شمس 2023.

تمهيد

لقد رسم البغدادي لنفسه منهجا واضحا في مقدمته، فقد حرص على بيان صحة الأشعار المستشهد بها في خزانته، سواء أكانت من أبيات الرضي أم من الأبيات التي أتى بها البغدادي، وفي ترجمته لأصحاب الشواهد كان دقيقا، فهو يترجم مرة واحدة ويشير إلى ذلك في المرات السابقة أو اللاحقة، وينبه على ما ورد في الروايات من خطأ أو خلط.

فوصف البغدادي في مقدمته كتاب الرضي في شرح شواهد الكافية بأنه: "كتاب عكف عليه نحارير العلماء، ودقق النظر فيه أماثل الفضلاء؛ لما فيه من أبحاث أنيقة، وأنظار دقيقة، وتقريرات رائقة، وتوجيهات فائقة"[1].

لكنّ البغدادي يصف الحال الذي آل إليه هذا المصنف فشواهده: "محلولة العقال ظَاهِرَة الإشْكَال؛ لغموض مَعْنَاهَا وخفاء مغزاها وَقد انْضَمَّ إِلَيْهَا التحريف وَبَان عَلَيْهَا أثر التَّصْحِيف"[2].

ومن ذلك ندرك أن عمله الأساسيّ هو خدمة شواهد الكافية بأن يحلّ عقالها، ويوضح ما خفي فيها، ويصوب التحريف والتصحيف.

ولنا أن نسأل: ما الذي أضافه البغدادي لهذه الشواهد؟

يجيب البغدادي: "فشمّرت عَن ساعد الْجدّ وَالاجْتِهَاد وشرعت فِي شرحها على وِفْق المنى وَالْمرَاد، فجَاء بحَمْد الله حائز المفاخر والمحامد، فائقا على جَمِيع شُرُوح الشواهد، فَهُوَ جدير بِأَن يُسمّى: (خزانَة الأدَب ولب لباب لِسَان الْعَرَب)"[3]

يعود في موضع آخر ليفصّل أكثر في منهجه حيث يقول: "اجتهدنا فِي تَخْرِيج أبْيَات الشَّرْح، وفحصنا عَن قائليها، حَتَّى عزونا كل بَيتٍ إِلَى قائله، إن أمكننا ذَلِك، ونسبناه إِلَى قبيلته أو فصيلته، وميّزنا الإسلامي عَن الجاهلي، والصحابي عَن التَّابِعِيّ، وهلمّ جرًّا، وضممنا إِلَى الْبَيْت مَا يتَوَقَّف عَلَيْهِ مَعْنَاهُ"[4].

ويتابع البغدادي وصف منهجه: "وَإِن كَانَ من قِطْعَة نادرة أو قصيدة عزيزة أوردناها كَامِلَة، وشرحنا غريبها ومشكلها، وأوردنا سَبَبهَا ومنشأها، كل ذَلِك بالضبط وَالتَّقْيِيد؛ ليعمَّ النَّفْع ويُؤمن التحريف والتصحيف، وليوثق بِالشَّاهِدِ لمعْرِفَة قَائِله، وَيدْفَع احْتِمَال ضعفه" [5].

من هذا الشرح ندرك أنّ البغدادي يقصد الشاهد الشعريّ فقط، وأظنه يقصد شواهد الرضي وحدها، وإن كان منهجه ينطبق إلى حد ما على الشواهد الشعرية التي أتى بها في سياق شرحه لشواهد الرضي، ولذلك فإننا سنقصر الحديث هنا على تناوله شواهد الرضي، وكذلك شواهد البغدادي الشعرية التي أتت في مصنفه؛ لنرى مدى التزام البغدادي في منهجه:

أولا: عزو الشاهد إلى قائله:

اشترط العلماء من اللغويين والنحويين وجوب معرفة قائل الشاهد، فلا يجوز الاحتجاج بشعرٍ أو نثر لا يُعرف قائله... وعلّة ذلك مخافة أن يكون ذلك الكلام مصنوعاً، أو لمُوَلَّد، أو لمن لا يوثق بكلامه"[6] وقد ردَّ النحاة الكثير من الشواهد الشعرية لعدم معرفة قائليها، فقد قال المبرد في أحد شواهد سيبويه: "لا يعرفُ قائله، فلا يُحتجُّ به"[7]، وكان الزجاج يؤاخذ الفرّاء على بعض الشواهد التي لا يعرف قائلوها، كقوله: "لو كان هذا المنشد المستشهد أعلمنا من هذا الشاعر، ومن أي القبائل هو؟، وهل ممن يؤخذ بشعره أم لا؟، ما كان يضرّه في ذلك، وليس ينبغي أن يحمل كتاب الله على (أنشدني بعضهم) [8].

وكذلك فعل النحاة المتأخرون فعقّب ابن يعيش على أحد الشواهد بأنه: "مردود لا يعرف قائله"[9]

وذهب عدد من الباحثين المحدثين إلى ضرورة معرفة القائل، ودعوا إلى إبعاد الشاهد الذي لا يعرف قائله عن دائرة الاستشهاد النحوي، ومنهم سعيد الأفغاني[10]والدكتور عبد العال سالم مكرم[11].

والبغدادي –كما مر بنا–، توسط بين القائلين بوجوب معرفة القائل، وبين المجيزين، فقال: "إنَّ الشاهد المجهول قائله وتتمته، إن صدرَ مِنْ ثقة يُعتمد عليه قُبِلَ، وإلا فلا[12].

والبغدادي بسعة اطلاعه، واتساع مكتبته، تمكّن من عزو كثير من الشواهد الشعرية إلى قائليها، وقد يستقصي جميع آراء النحاة في نسبة الأبيات يقول في نسبة هذا البيت[13]:

يا مَا أُمَيْلِحَ غِزْلانًا شَدَنَّ لَنا مِن هؤليَّائِكُنَّ الضَّالِ والسَّمُرِ

فيحاول البغدادي تتبع نسبة البيت، حيث يجمع روايات نسبته في الخزانة فهي للعرجي أو لبدوي اسمه كامل الثقفي أو لذي الرمة أو للحسين بن عبد الله[14]ويورد المقطوعة التي أخذ منها هذا البيت يقول: وَهَذَا الْبَيْت من جملة أَبْيَات ذكرهَا هِشَام فِي شرح شواهده[15]وَهِي:

حوراءُ لَو نظرتْ يَوْمًا إِلَى حجرٍ لأثّرت سقما فِي ذَلِك الْحَجَر

يزْدَاد توريدُ خدِّيها إِذا لحظت كَمَا يزيد نَبَات الأَرْض بالمَطَر

فالورد وجنتها وَالْخمر ريقتها وضوء بهجتها أضوا من الْقَمَر

كَادَت ترفُّ عَلَيْهَا الطيرُ من طرَبٍ لمّا تغنت بتغريد على وتر

باللَّه يَا ظبيات القاع قُلْنَ لنا ليلاي مِنْكُنّ أم ليلى من الْبشر

ويتابع البغدادي تحريه: وروى العباسي فِي معاهد التَّنْصِيص[16]أنه من أَبْيَات لبَعض الأعْرَاب وَذكرهَا فِي الدمية[17] للباخرزي أنه أول أَبْيَات ثَلاثَة لبدوي اسْمه كَامِل الثَّقَفِيّ ثَانِيهَا شاهدنا وَثَالِثهَا[18]:

إنسانة الْحَيِّ أم أدمانة السَّمُرِ بالنَّهْي رقّصها لحنٌ من الْوَتَر

ولا يسلّم البغدادي بنسبة سابقيه للشواهد الشعرية يقول معلقا على أحد الشواهد: قَائِل الْبَيْت الثَّانِي مجهولٌ أَيْضا. وزعم خَدَمَة الْمُغنِي أنه من أَبْيَات سِيبَوَيْهٍ، وَهَذَا لَا أصل لَهُ فَإِنِّي قد تصفحت أبياته[19].

وفي الشاهد التالي يحاول البغدادي التثبت من قائله[20]:

نَحن اللذون صبَّحوا الصَّباحا يَوْمَ النّخيل غَارةً مِلْحَاحا

وينسب هذا البيت لامرأة من بني عقيل اسمها ليلى الأخيلية، ولكن البغدادي يريد التثبت من هذه النسبة فيقول: (وقد فتشت عن هذا الرجز بجميع مواد ألفاظه فلم أرَ فيه أثرا، ولم أدر من أي مادة نقله) [21]، ولكنني وجدت نسبته في ديوان ليلى الأخيلية[22].

ويتابع البغدادي: "هَذَا البَيْت فِي غَالب كتب النَّحْو وَلم أظفر بقائله وَلم يعزه أحد لقائله غير الْعَيْنِيّ فَإِنَّهُ قَالَ هُوَ لرؤبة بن العجاج، وَقد تصفحت ديوانه فَلم أجِدهُ فِيهِ وَالله أعلم" [23].

وقد يفاضل البغدادي بين روايات نسبة البيت اعتمادا على معرفته وملكته النقدية ومعرفة بتاريخ الأدب العربي، يقول في نسبة هذا البيت[24]:

يَا زيدُ زيدَ اليَعمُلات الذُّبَّلِ تَطاوَلَ اللَّيْلُ عَلَيْكَ فانْزِلِ

يقول البغدادي: وَهَذَا الْبَيْت لعبد الله بن رَوَاحَة الصَّحَابِيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه، لَا لبَعض ولد جرير خلافًا لشراح أَبْيَات سِيبَوَيْهِ. وَهُما بيتان لَا ثَالِث لَهما قالهما فِي غَزْوَة مُؤْتَة وَهِي بِأَدْنَى البلقاء من أرض الشَّام وَكَانَت فِي جُمَادَى الأولى من سنة ثَمَان من الْهِجْرَة[25].

ويسهب البغدادي في وصف معركة مؤتة وما قيل فيها ثم يحيلنا إلى مرجعه: قَالَ ابْن عبد الْبر فِي الِاسْتِيعَاب[26]: ذكر ابْن إِسْحَاق عَن عبد الله بن أبي بكر بن مُحَمَّد بن عَمْرو بن حزم قَالَ: كَانَ زيد بن أرقم يَتِيما فِي حجر عبد الله بن رَوَاحَة فَخرج بِهِ مَعَه إِلَى مُؤْتَة يحملهُ على حقيبة رَحْله، فَسَمعهُ زيد بن أرقم من اللَّيْل وَهُوَ يتَمَثَّل أبيات يَقُول فِيهَا:

إِذا أديتَني وَحَمَلْتَ رَحْلي مسيرَةَ أربع بعدَ الحَساء

وَجَاء الْمُؤْمِنُونَ وغادروني بِأَرْضِ الشَّامِ مُنْتَهى الثواءِ

ويستمر البغدادي في ذكر الخبر بدقة وإسهاب: فَبكى زيد بن أرقم فخفقه عبد الله بن رَوَاحَة بِالدرةِ وَقَالَ: مَا عَلَيْك، وقال ابن رَوَاحَة:

يَا زيدُ زيدَ اليَعمُلات الذُّبَّلِ تَطاوَلَ اللَّيْلُ عَلَيْكَ فانْزِلِ

ويتابع البغدادي: وَاعْلَم أَنِّي رَأَيْت فِي نَوَادِر ابْن الأعرَابِي[27]أرجوزة عدتهَا اثْنَان وَعِشْرُونَ بَيْتا مطْلعهَا شاهدنا، منسوبة لبكير بن عبيد الربعِي، ولا أعلم من هُوَ: أهوَ سَابق على عبد الله بن رَوَاحَة أم لَاحق لَهُ؟.

وَالظَّاهِر أنه بعده، فَإِن الرجز فِي الْجَاهِلِيَّة كَانَ لا يتَجَاوَز الأبيات الثَّلاثَة والأربعة، وَإِنَّمَا قَصده وأطاله الأغْلَب الْعجلِيّ[28]

ونلحظ بعد هذا حرص البغدادي على تتبع الأخبار، وإيراد النصوص بدقة من مصادرها بإسهاب، ويعتمد أيضا على معرفة بالأرجاز وتطورها، فقد ساعده هذا في الحكم على البيت ونسبته.

ثانيا: توجيه الشواهد النحوية:

من المعروف أن الشواهد النحوية لا يؤتى بها دون توجيه، فلا يؤتى بها إلا للاستشهاد على قاعدة معينة، فيبين النحوي القاعدة التي استعان بالشاهد من أجلها.

يقول موجها بيت حسان بن ثابت[29]:

قدْني من نَصْرِ الخُبَيْبَيْنِ قدي ليس الإمامُ بالشّحِيح المُلْحِدِ

ويورد آراء النحاة في توجيه البيت يقول ابن هشام: قد الاسمية على وَجْهَيْن[30]:

1- اسْم مرادف لــ"حسب" وَالْغَالِب فِيهَا الْبناء يُقَال: قد زيد دِرْهَم وقدني بالنُّون حرصاً على السّكُون. وتعرب بقلة يُقَال: قد زيد دِرْهَم بِالرَّفْع كَمَا يُقَال حَسبه دِرْهَم بِالرَّفْع وقدي بغَيْر نون كَمَا يُقَال حسبي.

2- اسْم فعل مرادفة لــ"يكفي" يُقَال: قد زيدا دِرْهَم وقدني دِرْهَم كَمَا يُقَال: يَكْفِي زيدا دِرْهَم ويكفيني دِرْهَم.

لكن البغدادي يعود ليقرر أنه شَاهد على ترك النُّون، وَلَيْسَ كَمَا قَالُوا لجَوَاز أن يكون أصله (قد) ثمَّ ألحق يَاء للقافية وَكسر الدَّال للساكنين[31]

ثالثا: الوقوف عند دلالات المفردات الغريبة:

يعدّ المعنى عنصرًا مهمًا في التحليل النحوي، فضلاً عن أنَّ له أثرًا واضحًا في تعدد الأوجه الإعرابية؛ وذلك لأنَّ النحويين يختلفون في مدى فهمهم لبعض النصوص اللغويَّة، ومن ثَمَّ فهم يختلفون في تحليلها، وقد يحتمل نص واحد عند النحوي نفسه معاني مختلفة ومتنوعة[32]

ولأهمية وضوح المعنى في الشواهد النحوية فقد حرص البغدادي على تبيان معاني الكلمات الغريبة والنادرة والصعبة والمشكلة، ومعاني المفردات يوردها أثناء تناوله للشاهد النحوي في المتن.

وسنورد بعض النماذج على تحليله المفردات في متن كتابه:

فبعد إيراده شاهد رؤبة بن العجاج يورد تعليقا يتضمن شرحا للمعاني، وقيمة هذا الشرح يقول[33]:

وقاتمِ الأعماق خاوي المخترَق

يقول البغدادي: وهذا البيت جزء من قصيدة رؤبة، وَهَذِه القصيدة طَوِيلة لا فَائِدَة فِي إِيرَاد أبياتها جَمِيعهَا، لَكِنْ فِيهَا بَيت من شَوَاهِد التَّفْسِير، وَمُغْنِي اللبيب لا يَتَّضِح مَعْنَاهُ إلا بشرح الأبيات الَّتِي قبْله فَلهَذَا شُرحت[34].

ومن ذلك ندرك أن البغدادي لا يورد في شرحه ما كان زائدا لا فائدة منه، بل يورد ما كان نافعا للشواهد، مزيلا عنها غموضها، وما علق بمعناها من التباس.

يتابع البغدادي شرح المفردات المستغلقة ويقول: القتمة: الغبرة، وأسود قاتم، أي: رب بلد مغبر، والأعماق: جمع عمق بِفَتْح الْعين وَضمّهَا وَهُوَ مَا بعد من أطْرَاف المفاوز، والخاوي: الْخَالِي، والمخترق بِفَتْح الرَّاء: مَكَان الاختراق من الْخرق وَهُوَ الشق اسْتعْمل فِي قطع الْمَفَازَة، تَقول: خرقت الأَرْض إِذا قطعتها، ومخترق الرِّيَاح وَنَحْوهَا: ممرها[35].

وهذا التفسير للمفردات لا يختلف عن تفسير كثير من المعاجم المتخصصة التي تعطي لكل كلمة معناها وجمعها، وضبطها، وغيرها من الأمور، بالإضافة إلى شرح معنى الكلمة بوصفها جزءًا من التركيب.

ويتابع في الشاهد التالي[36]:

مُشتَبِهِ الأعلامِ لمّاعِ الخَفَق

ويبدأ البغدادي مباشرة بشرح الألفاظ الصعبة ويقول: الْأَعْلام جمع علم وَهِي الْجبَال الَّتِي يَهْتَدِي بهَا، يُرِيد أَن أَعْلَام هَذَا الْبَلَد يشبه بَعْضهَا بَعْضًا، فتشتبه عَلَيْك الْهِدَايَة، والخفق بِفَتْح الْخَاء وَسُكُون الْفَاء[37]مصدر خَفَق السراب وخفقت الرَّايَة من بَابي نصر، وَضرب خفقا وخفقانا إِذا تحركت واضطربت وتحريك الْفَاء ضَرُورَة يُرِيد أَنه يلمع فِيهِ السراب ومشتبهٌ ولمّاعٌ صفتان لقاتم[38].

وهذا منهج خاص يلتزم به في الخزانة كما في شرحه لقول الشاعر[39]:

قد حَشَّهَا اللَّيْلُ بعَصْلَبيٍّ مُهاجِرٍ لَيْسَ بأعْرَابيِّ

ويبدأ البغدادي بسرد معاني المفردات وفق منهجه يقول: العَصْلبيّ بِفَتْح الْعين وَسُكُون الصَّاد الْمُهْمَلَتَيْن: الشَّدِيد الْبَاقِي على الْمَشْي وَالْعَمَل، يُقَال حشّ النّار يحشّها حشّاً إِذا بَالغ فِي إيقادها وإحمائها، وَإِنَّمَا يُرِيد أنّ الإبل قد رميت برَجُل عصلبيّ يسْرع سوقها ولا يَدعهَا تفتر كَمَا تحشّ النّار، وحشّ بحاء مُهْملَة وشين مُعْجمَة[40].

ومن هذا ندرك أن منهجه في توضيح معاني المفردات يقوم على ضبط الحركات والسكنات، وتفسير المفردات معجميا، مع ربط دلالة المفردة بما حولها من الكلمات.

رابعا: إعراب الشواهد:

يأتي البغدادي على إعراب بعض الشواهد بعد توضيح معناها أو أثناء توضيحه، وقد يورد إعراب بعض السابقين أحيانا، ومن النماذج على إدخاله الشرح بالإعراب ما يلي[41]:

ولولا اجْتِنَابُ الذأمِ لم يُلْفَ مَشْرَبٌ يُعَاشُ به إلاّ لَدَيّ وَمَأكَلُ

يبدأ البغدادي بتفسير المعاني المشكلة والإعراب معا: الذام: الْعَيْب يُهْمَز وَلَا يهمز، ويُلْفَ: يُوجد يتَعَدَّى إِلَى مفعولين أَصلهمَا الْمُبْتَدَأ وَالْخَبَر، ومشرب نَائِب الْفَاعِل وَهُوَ الْمَفْعُول الأول فِي الأَصْل ويعاش بِهِ صفته، وَلَديّ ظرف بِمَعْنى عِنْدِي وَهُوَ مُتَعَلق بِمَحْذُوف على أنه الْمَفْعُول الثَّانِي وَوَقع، الْحصْر فِيهِ، ومأكل مَعْطُوف على مشرب أي: لم يُوجد مشرب يعاش بِهِ، ومأكل كَذَلِك إلا حاصلين لديّ، وقيل: ويعاش بِهِ نعت لمشرب وَالتَّقْدِير: إلا هُوَ لديّ مَحْذُوف الْمُبْتَدَأ للْعلم بِهِ وَلَديّ خَبره ومأكل مَعْطُوف على "هُوَ"[42].

وفي نموذج آخر يقول البغدادي معلقا على الشاهد التالي[43]:

ولَهَا بِالمَاطِرُونِ إذَا أكلَ النّملُ الّذي جمعا

وَهذا الْبَيْت من أبياتٍ ليزيد بن مُعَاوِيَة بن أبي سُفْيَان تغزل بهَا فِي نَصْرَانِيَّة قد ترهبت فِي دير خراب عِنْد الماطرون وَهُوَ بُسْتَان بِظَاهِر دمشق يُسمى الْيَوْم الميطور[44]، يقول ابن جني: وأمّا الماطرون فذهب أبو الحسن إلى أنّه رباعّي، واستدلّ على ذلك بكسر النون مع الواو، ولو كانت زائدة لتعذّر ذلك فيها[45]

وبعد شرح مناسبة البيت وإيراد المقطوعة كاملة يبدأ بالإعراب: وَلها بالماطرون اللام مُتَعَلّقَة بِمَحْذُوف على أنه خبر مقدم وخرفة[46]: مُبْتَدأ مُؤخر وبالماطرون فَاعل لَهَا وإذا ظرف عَامله مُتَعَلق باللَّام[47].

خامسا: إيراد الأبيات المحيطة بالشاهد:

ودرج البغدادي على أنْ يذكر البيت بتمامه، على خلاف كثير من النحويين حيث اقتصروا على موطن الشاهد في مواضع عدة من مصنفاتهم، مكتفين بشطر أو أقل من شطر، وإيراد أنصاف الأبيات منهج عام يكاد يغلب على كتب النحو ويمكن عزو ذلك إلى أمرين:

الأول: رغبة النحوي في الاكتفاء بموطن الشاهد سواء أكان في الشطر الواحد أم في جزئه.

الثاني: قد يكون النحوي جاهلا بتمام البيت، وإنّما ردد موطن الشاهد فيه نقلا عمّن سبقه من النحاة[48].

والبغدادي حرص كثيرا على إيراد الشاهد بوصفه جزءا من القصيدة التي قيل فيها هذا الشاهد يقول[49]:

يقول الخَنا وأبغضُ العُجمِ ناطقاً إلى ربّنا صوتُ الحمارِ اليُجدّعُ

يقول البغدادي: وهذا البيت ثاني أبيات سبعة أوردها أبو زيد في نوادره لذي الخرق الطهوي قائل الشاهد وهي..."[50].

وفي موضع آخر يذهب البغدادي إلى شرح قصيدة طويلة؛ لتوضيح السياق الذي قيل فيه الشاهد[51]:

لَعَمْري لأنْتَ البَيتُ أكْرَمُ أهْلِهِ وأقعَدُ في أفيائِه بالأصائِل

وَالْبَيْت من قصيدة عدتهَا أرْبَعَة وَعِشْرُونَ بَيْتا فَلا بَأْس أن تشرح فَإِن فِيهَا شَوَاهِد وَهِي.... [52].

وهكذا نرى أن البغدادي لا يكتفي بذكر الشاهد بل يضمّ البيت إلى ما سبقه وما تلاه من أبيات يتوقف عليها معناه، أو يذكر القصيدة كلها التي ورد فيها الشاهد إذا كانت من القصائد النادرة.

سادسا: ترجمته لصاحب الشاهد

مر بنا في منهج البغدادي ما يوحي بحرصه على الترجمة لصاحب الشاهد حيث قال: وفحصنا عَن قائليها حَتَّى عزونا كل بَيت إِلَى قائله إن أمكننا ذَلِك، ونسبناه إِلَى قبيلته أو فصيلته، وميّزنا الإسلامي عَن الجاهلي والصحابي عَن التَّابِعِيّ[53].

وفائدة الترجمة عند البغدادي تمييز الشاهد ومدى مطابقته لشروط الاحتجاج، والتأكد من صحة الاستشهاد به

والبغدادي يعتذر عندما لا يستطيع الترجمة لصاحب الشاهد يقول: وقُرَيط بن أُنَيف بِضَم الْقَاف وَفتح الرَّاء. وأُنَيف بِضَم الْهمزَة وَفتح النُّون. وَهُوَ شَاعِر إسلامي، قَالَه الْخَطِيب التبريزي فِي الحماسة[54]، وَقد تتبعت كتب الشُّعَرَاء وتراجمهم فَلم أظفر لَهُ بترجمة[55].

وفي شاعر آخر يقول: وكَعب بن سعد الغنوي هُوَ شاعرٌ إسلامي وَهُوَ أحد بني سَالم بن عبيد بن سعد بن عَوْف بن كَعْب بن جلان بِكَسْر الْجِيم وَتَشْدِيد اللَّام ابْن غنْم بن غَنِي بن أعصر، وَقد راجعت كتب الصَّحَابَة، وَكتاب الشُّعَرَاء لِابْنِ قُتَيْبَة، وَكتاب الأغاني، وَغَيرهَا فَلم أجد تَرْجَمته فِي أحدهَا، وَالظَّاهِر أنه تَابِعِيّ[56]

وقد يترجم البغدادي لأحد معاصري صاحب الشاهد إن لم يجد ترجمة للشاعر نفسه، فقد ترجم لعبد الرحمن الضحاك معاصر سنان الفحل: وَسنَان بن الْفَحْل: شَاعِر إسلاميٌّ فِي الدولة المروانية. وَهُوَ بِكَسْر السِّين بعْدهَا نونان، والفحل بِفَتْح الْفَاء وَسُكُون الْحَاء الْمُهْملَة، وَأما عبد الرَّحْمَن بن الضَّحَّاك فقد ذكره الفاسي فِي تَارِيخ مَكَّة المشرفة[57]وَقَالَ: عبد الرَّحْمَن بن الضَّحَّاك بن قيس بن خَالِد بن وهب بن ثَعْلَبَة بن وائلة بن عَمْرو بن شَيبَان بن محَارب بن فهر بن مَالك الفِهري، وَإِنَّمَا ذكرت عبد الرَّحْمَن هَذَا ليعلم مِنْهُ عصر سِنَان بن الْفَحْل الطَّائِي فَإِنِّي لم أظفر لَهُ بترجمة ولم أر ذكره في كتب الأنساب[58].

ويترجم البغدادي لصاحب البيت المختلف في نسبته يقول[59]:

وَإن دَعَوْتِ إِلَى جُلى ومَكْرَمَةٍ يَوْمًا سَراة كرام النَّاس فادعِينا

وَالْبَيْت وَقع فِي شعرين: أحدهمَا للمرقش الأكْبَر... والثاني لبشامة بن حزن النهشلي[60]ويتابع: هَذِه الأبيات قد اخْتلف فِي قَائِلهَا وَالصَّحِيح أَنَّهَا لبشامة بن حزن النَّهْشَلِي وهو من قيس بن ثعلبة....، والمرقش الْأَكْبَر وَهُوَ عَمْرو بن سعد بن مَالك بن ضبيعة بن قيس بن ثَعْلَبَة.... [61]

فمنهج البغدادي واضح تماما في حرصه على بيان صحة الأشعار المستشهد بها في خزانته، سواء أكانت من أبيات الرضي أم من الأبيات التي أتى بها البغدادي، وفي ترجمته لأصحاب الشواهد كان دقيقا، فهو يترجم مرة واحدة ويشير

سابعا: توثيق الشاهد في المتن

يلتزم البغدادي بتوثيق الشاهد في متن تأليفه، وهذا منهج علمي حديث متبع في كثير من الدراسات، وقد يورد البغدادي أكثر من رواية وبالتالي يورد أكثر من مقطوعة شعرية، ففي حديثه عن نسبة الشاهد السابق يشير إلى رواية أخرى:

فهو أيضا للمرقش الأكْبَر رَوَاهُ الْمفضل بن مُحَمَّد الضَّبِّيّ وهذه روايته[62]:

وإنْ دَعَوْتِ إلى جُلَّى ومَكْرُمَةٍ يوماً سَرَاةَ خِيارِ الناسِ فادْعِينَا

ورواية ابْن الأعرَابي فِي "نوادره" وَأَبُو مُحَمَّد الأعرَابي فِيمَا كتبه على "شرح الحماسة للنمري" وَالشعر الثَّانِي لبشامة بن حزنِ النَّهْشَلِي رَوَاهُ الْمبرد فِي "الْكَامِل" وَأَبُو تَمام فِي "الحماسة[63]".

ثامنا: اهتمامه بالعروض

يظهر البغدادي أثناء شرحه سعة واطلاعا على علم العروض، من خلال ضبط الشعر ضبطا سليما، وتنبيهه على بعض القضايا أثناء شرحه، يقول:

يقول في أحد الشواهد أنه من بَاب الضرورات، وَلَيْسَ يجب أن يكون من بَاب الضرورات؛ لِأَنَّهُ لَو أنْشد بِحَذْف الْيَاء لم ينكسر؛ وَإِنَّمَا مَوضِع الضَّرُورَة مَا لا يجد الشَّاعِر مِنْهُ بدًا فِي إثْبَاته ولا يقدر على حذفه لِئَلَّا ينكسر الشّعْر، وَهَذَا يُسمى فِي عرُوض الوافر المنقوص أعنِي: إذا حذف الْيَاء من قَوْله: ألم يَأْتِيك.

هَذِه القصيدة من بَحر السَّرِيع، وَرُبمَا حَسِبَ من لَا يُحسن الْعرُوضَ أَنَّهَا من الرجز، وَلَيْسَ كَذَلِك؛ لأن الرجز لا يكون فِيهِ مَعُولان فَيرد إِلَى فعولان[64]

وتظهر معرفته في اعتراضه على حجج النحاة فيما ذهبوا إليه يقول: وَإِنَّمَا معنى الضَّرُورَة أن الشَّاعِر قد لَا يخْطر ببَالِهِ إلا لفظة مَا تضمنته ضَرُورَة النُّطْق بِهِ فِي ذَلِك الْموضع إِلَى زِيَادَة أو نقص أو غير ذَلِك بِحَيْثُ قد ينتبه غَيره إِلَى أن يحتال فِي شَيْء يزِيل تِلْكَ الضَّرُورَة[65].

وبذلك لا يمكن اللجوء إلى الضرورة ما دام عدم الضرورة سليما لغويا وعروضيا.

الخاتمة

1- توسط البغدادي بين القائلين بوجوب معرفة قائل الشاهد النحوي الشعري، وبين المجيزين، ويرى أنَّ الشاهد المجهول قائله وتتمته، إن صدرَ مِنْ ثقة يُعتمد عليه قُبِلَ، وإلا فلا.

2- ولأهمية وضوح المعنى في الشواهد النحوية؛ فقد حرص البغدادي على تبيان معاني الكلمات الغريبة والنادرة والصعبة والمشكلة، ومعاني المفردات يوردها أثناء تناوله للشاهد النحوي في المتن

3- درج البغدادي على أنْ يذكر البيت بتمامه، على خلاف كثير من النحويين حيث اقتصروا على موطن الشاهد في مواضع عدة من مصنفاتهم، مكتفين بشطر أو أقل من شطر

4- لا يكتفي البغدادي بذكر الشاهد، بل يضمّ البيت إلى ما سبقه وما تلاه من أبيات يتوقف عليها معناه، أو يذكر القصيدة كلها التي ورد فيها الشاهد إذا كانت من القصائد النادرة.

5- يظهر البغدادي أثناء شرحه سعة واطلاعا على علم العروض، من خلال ضبط الشعر ضبطا سليما، وتنبيهه على بعض القضايا أثناء شرحه.

6- يلتزم البغدادي بتوثيق الشاهد في متن تأليفه، وهذا منهج علمي حديث متبع في كثير من الدراسات، وقد يورد البغدادي أكثر من رواية وبالتالي يورد أكثر من مقطوعة شعرية.

7- يحرص البغدادي على ترجمة قائلي الأبيات الشعرية النحوية، وقد يعتذر عندما لا يستطيع الترجمة لصاحب الشاهد وقد يترجم لأحد معاصري صاحب الشاهد إن لم يجد ترجمة للشاعر نفسه.

Abstract

Features of Al-Baghdadi's approach in presenting the poetic grammatical evidence in the Treasury of Literature

By abdullah hasan ahmad althnaibat

Abdul Qadir bin Omar Al-Baghdadi is considered one of the most prominent figures of the language in the eleventh century AH, as he was known in the field of writing and indexing, and his book "The Treasury of Literature and Lub Lubab Lisan Al-Arab" has been the subject of attention of researchers since its writing until the present time.

The study aims to clarify a clear picture of Al-Baghdadi's approach in presenting the grammatical evidence in the book The Treasury of Literature, according to the descriptive and analytical approach, in terms of his approach in tracing the evidence and graduating the verses of Sharh al-Radi, examining their authors, and attributing each verse to its speaker, as much as he is able to do so, and attributing it to his tribe or Its type, distinguishing the Islamic witness from the pre-Islamic one, and the Companion from the Tabi'i, clarifying its ambiguity, parsing it, and directing it grammatically.

The researcher found that Al-Baghdadi demonstrated, during his explanation, his extensive knowledge of prosody, through proper control of the poetry, his alertness to some issues during his explanation, and his commitment to documenting the evidence in the text of his writing. This is a modern scientific approach followed in many studies, and Al-Baghdadi may quote more than one narration. Consequently, he cites more than one poetic stanza, and is keen to translate the grammatical poets of the verses. He may apologize when he is unable to translate to the author of the witness, and he may translate to one of the contemporaries of the author of the witness if he cannot find a translation by the poet himself.

الهوامش

([1])البغدادي، خزانة الأدب، 3/1

([2])المرجع نفسه، 3/1

([3])المرجع نفسه، 4/1

([4])المرجع نفسه، 15/1–16

([5])البغدادي، خزانة الأدب، 16/1

([6])المرجع نفسه، 15/1، وابن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، 2/ 583.

([7])المبرد، المقتضب، 132/2–133

([8])الفراء، معاني القرآن، 1/ 412.

([9])ابن يعيش، شرح المفصل، 2/ 9

([10])انظر في الأفغاني، أصول النحو: 65.

([11])انظر: مكرم، عبدالعال سالم، القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، مؤسسة علي الجراح الصباح، ط2، 1978م، 374.

([12])البغدادي، خزانة الأدب: 16/1.

([13])البيت للوالبي، مجنون بني عامر، ديوانه، ت هدى وائل عامر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، ص130؛ في: البغدادي، خزانة الأدب 1/ 93، 96، 97؛ ولكامل الثقفي أو للعرجي في السيوطي، شرح شواهد المغني 2/ 962؛ وللعرجي في:العيني، المقاصد النحوية 1/ 416، 3/ 643

([14])البغدادي، خزانة الأدب 1/ 93، 96، 97؛ ولكامل الثقفي أو للعرجي في السيوطي ، جلال الدين(د. ت). شرح شواهد المغنى : منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت – لبنان .

2/ 962؛ وللعرجي في: العيني، المقاصد النحوية 1/ 416، 3/ 643

([15])يقول عبدالسلام هارون في الحاشية الخزانة 97/1: وليس لابن هشام مؤلف خاص لشرح الشواهد، وهي عند السيوطي في شرح شواهد المغني 926/2

([16])انظر: العباسي، عبدالرحيم بن أحمد، معاهد التنصيص في شرح شواهد التخصيص، ت محمد محي الدين عبدالحميد، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، د.ت 167/3

([17])الباخرزي، أبو الحسن، دمية القصر وعُصرة أهل العصر، ت سامي مكي العاني، دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت د،ت 29/1

([18])هذا البيت هو مطلع المقطوعة وليس ثالثها ويليه شاهدنا: يا أميلح.... انظر الباخرزي، الدمية ص29

([19])البغدادي، خزانة الأدب، 107/1

([20])انظر: الأندلسي: ارتشاف الضرب 1004/2، انظر: إميل يعقوب: المعجم المفصل 1059/2، الغارة: اسمٌ من الإغارة على الْعَدو وملحاحاً صفة غَارة، البغدادي الخزانة، 24/6

([21])البغدادي، الخزانة، 25/6

([22])انظر: الأخيلية، ليلى، ديوانها، ت خليل إبراهيم العطية، وزارة الثقافة والإرشاد، بغداد، 1967، ص 61 وقد ورد في الديوان بصيغة "الذين" ولم يشر المحقق لوجود صيغة اللذون

([23])البغدادي، الخزانة 25/6

([24])والبيت لعبد الله بن رواحة، وهو من شواهد سيبويه، ونسب إلى بعض أولاد جرير، ينظر: سيبويه، الكتاب: 206/2، وشرح ابن يعيش على المفصل: 10/2. اليعملات. يفَتْح الْيَاء وَالْمِيم: الْإِبل القوية على الْعَمَل. والذبّل: جمع ذابل أي: ضامرة من طول السّفر

([25])البغدادي، خزانة الأدب، 303/2، ووصف المكان للبغدادي، ولم يشر إلى مصدره.

([26])انظر الخبر والأبيات وهي لزيد بن الأرقم في: النمري القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ت محمد علي البجاوي، دار الفكر، بيروت، 2006، 536/2 وانظر البغدادي، خزانة الأدب 303/2

([27])للاطلاع على المقطوعة كاملة انظر: ابن الأعرابي، مسحل عبدالوهاب بن حريش، النوادر، ت عزة حسين، مطبوعات مجمع اللغة العربية في دمشق، 1960م، ص403

([28])البغدادي، خزانة الأدب/ 307/2 وفي موضع آخر في الخزانة يقول كان الْأَغْلَب جاهلياً إسلامياً وَقتل بنهاوند. وَهُوَ أول من أطَالَ الرجز وَكَانَ الرجل قبله يَقُول الْبَيْت والبيتين إذا فاخر أو شاتم. انظر:البغدادي، خزانة الأدب 293/2

([29]) سيبويه، الكتاب 371/2، وهو لحسان بن ثابت في ديوانه ص 154، يريد بذلك عبد الله ومصعباً ابني الزبير، وإنما أبو خبيب عبد الله وحده، فغلبه على أخيه فقال: (الخبيبين) انظر: البغدادي، خزانة الأدب 388/5

([30])ابن هشام، المغني، 170/1

([31])البغدادي، خزانة الأدب 386/5

([32])ينظر: جبل، الاحتجاج بالشعر في اللغة ص 89

([33]) العجاج، ديوانه، 104.

([34])البغدادي، خزانة الأدب، 80/1

([35])المرجع نفسه، 10/ 25

([36])العجاج، ديوانه، 104

([37])أعتقد أن البغدادي يضبط كلمة الخفق بسكون الفاء لغويا، وإلا فهي مفتوحة للضرورة في البيت حتى يستقيم الوزن العروضي.

([38])انظر: الزبيدي، أبو الفيض محمد مرتضي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2007. 241/2 وفيه رواية أخرى قد لقها الليل، وانظر أيضا البغدادي، خزانة الأدب، 82/1

([39])الأزهري، شرح التصريح بمضمون التوضيح، 128/1، والبغدادي، خزانة الأدب، 59/4

([40])البغدادي، خزانة الأدب 59/4

([41])الشنفرى الأزدي، ثابت بن أوس، ديوانه، ت إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، 1996م، ص 108

([42])البغدادي، خزانة الأدب، 190/9-192

([43])البيت للأحوص من البحر المديد، انظر: المبرد، الكامل في اللغة والأدب، 333/1، والأزهري، شرح التصريح على التوضيح 36/1

([44])البغدادي، خزانة الأدب 312/7

([45])ينظر ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (2000). سر صناعة الإعراب. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. 691/2

([46])خرفة: هي المفردة الأولى في البيت التالي وهو:

خرفةٌ حَتَّى إذا ارتبعت سكنت من جلقٍ بيعا

([47])البغدادي، خزانة الأدب 312/7

([48])جبل، الاحتجاج بالشعر في اللغة، 216 – 219

([49])الأنصاري، كتاب النوادر في اللغة، ص67

([50])البغدادي، خزانة الأدب، 1/ 34

([51])السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق أحمد شمس الدين، منشورات محمد علي بيضون،دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1998 م.1/ 85

([52])البغدادي، خزانة الأدب، 342/7

([53])البغدادي، خزانة الأدب، 15/1-16

([54])انظر ورود اسمه في: التبريزي، الخطيب، شرح ديوان الحماسة، ت غريد الشَّيخ، و أحمد شمس الدِّين، ط1: دار الكتب العلميَّة ــ بيروت 1412هـــ/ 2000م، 22/1

([55])البغدادي، خزانة الأدب، 446/7

([56])المرجع نفسه، 8 /574

([57])هذا الكتاب في حدود ما اطلعت غير مطبوع واسمه الكامل: الزهور المقتطفة من تاريخ مكة المشرفة، لتقي الدين أبو الطيب محمد بن عبد الرحمن الحسني المكي الفاسي.

([58])البغدادي، خزانة الأدب 40/6-41

([59])ابن أبي حديد، الفلك الدائر على المثل السائر، ت بدوي طبانة و أحمد الحوفي، دار الرفاعي، الرياض، 1984، ص4

([60])البغدادي، خزانة الأدب، 8/ 201

([61])انظر: المرجع نفسه، 312/8

([62])المفضل الضبي، المفضليات، 381

([63])الحماسة بشرح التبريزي، 99/1، ابن يعيش، شرح المفصل، 100/6البغدادي، خزانة الأدب، 301/8- 302

([64])البغدادي، خزانة الأدب، 268/11

([65])البغدادي، خزانة الأدب 34/1